شِفَاءُ العِي

في جواب مسألة
طلب الشفاعة من الحي

كتبه

بدر بن علي بن طامي العتيبي

بسم الله الرحمن الرحيم

الْحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالمَينَ، وَصَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ عَلى نَبِيِّنَـا مُحَمَّـدٍ وَعَلى آلِهِ وصَحْبِهِ أجْمَعِين.

أمَّا بَعْدُ:

فقد تواردت عليّ الكثير من أسئلة طلاب العلم في الشيشان وكازاخستان وروسيا وبلجيكا ومصر وغيرها عن مسألة: «**طلب الشفاعة في اليوم الآخر من الحي في الحياة الدنيا**»، وقد آلمني ما جَرَى في ميدان الكلام عن هذه المسألة وبحثها من الفُرْقَةِ والاختلافِ، والتناحرِ والتدابرِ، والتباغضِ والتَّهاجُرِ، بل زادَ الأمرُ إلى التبديعِ والتَّضليلِ، بل مِنهم مَن تجاوزَ إلى حَدِّ التَّكفيرِ والله والمستعان.

وكنتُ أحْسبُ أنّ الأمرَ مبالغٌ في حكاية واقعه؛ حتى تظافرت الرسائل وشهود الأعيان بشدة ما حصل بين أهل التوحيد والسنة من فرقة وبلاء بسبب هذه المسألة.

وليس ثمت داءٌ يقع بين أهل الفضل أشد وأخطر من فساد ذات البين، والفرقة والخلاف، والتشاجر والتدابر، والخوض في موجباتِ التَّكفيرِ والتبديعِ بغيرِ هدىً ولا نورٍ ولا كتابٍ مبينٍ.

وقَد قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعاً لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [الأنعام:١٥٩] وقال: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ﴾ الآية [آل عمران: ١٠٣] وقال تعالى : ﴿وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران:١٠٥] نسأل الله السلامة والعافية، وقال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[الأنعام:١٥٣] وقال تعالى : ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحاً وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ﴾ الآية [الشورى:١٣] وقال ربي سبحانه: ﴿مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَلا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ * مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعاً كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [الروم:٣١-٣٢] وقال عزّ وجلّ فيمن ذمّ من المخالفين: ﴿فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُراً كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [المؤمنون:٥٣].

وصحَّ عنِ النبيﷺ -يا معاشرَ أهل السنة- النَّهي عن الفرقةِ ومسبباتِها، فقالﷺ: «**إياكم والظن، فإن الظن أكذب الحديث، ولا تحسَّسوا، ولا تجسَّسوا، ولا تنافسُوا، ولا تحاسدوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إخوانا كما أمركم، المسلم أخو المسلم، لا يظلمه، ولا يخذله، ولا يحقره، التقوى هاهنا، التقوى هاهنا، التقوى هاهنا - ويشير إلى صدره - بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام: دمه، وعرضه، وماله، إن الله لا ينظر إلى أجسادكم، ولا إلى صوركم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم**» متفق عليه.

هذا كلامُ من أوجبَ اللهُ تعالى علينا طاعتَه، وجعل الإيمان معلَّقاً على اتباع سنتهﷺ يحذرنا من التباغض والتدابر والظلم والخذلان واحتقار الأخ لأخيه، واستباحة ما حرّم الله منه من مال وعرض ودم.

وعن الزَّبيرِ بنِ العوَّامرضي الله عنه أن رسول اللهﷺ قال: «**دبَّ إليكم داء الأمم قبلكم: الحسد والبغضاء، هي الحالقة، لا أقول تحلق الشعر ولكن تحلق الدين، والذي نفسي بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أفلا أنبئكم بما يثبت ذلك لكم؟ أفشوا السلام بينكم**» أخرجه الترمذي، وفي حديث أبي

الدرداءﷺ: قال: قال رسول الله ﷺ: «**ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام، والصلاة، والصدقة؟ قالوا: بلى، قال: صلاح ذات البين، فإن فساد ذات البين هي الحالقة**» رواه أبو داود وغيره.

وصدق من لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحيٌ يوحى، ففساد ذات البين حالقة الدين: تُختفر بِه الذِّمَم، ويحضرُ فيها الشيطان برايات الهوى، ويستباح بها ما حَرُم من المال والعرض والدم، ويضعف انتشار الحق ونشاط أهله، وتقوى شوكة الباطل ومكائد أهله، وهكذا الباطل لا يزهق حين يغيب الحق، وأهل الحق اليوم يشتغل بعضهم ببعضٍ سباباً وشتاماً، وتهاجراً وتدابراً، فلا غرابة أن يحضر إبليس وجنده وأهل الحق في مَهامِهِ الفرقة يختلفون! وهذا من عظيم الفشل الذي حذرنا الله تعالى منه حيث قال: ﴿**وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ**﴾ [الأنفال: ٤٦] وكل صاحب بدعة خارجيٌّ من حيث أصل دينه وخروجه عن سبيل أهل السنة، وقد أخبر النبيﷺ أن الخوارج -وهذا يشمل كل أهل البدع- «**يخرُجُون على حينِ فُرقةٍ من النَّاسِ**» متفق عليه من حديث أبي سعيد الخدريﷺ، وكان أول خروج القدرية والخوارج والرافضة وغيرهم حين وقع النزاع بين أفضل الأمة

بعد نبيها ﷺ في قرن هو من خير القرون بنص قول النبي ﷺ فكيف بزماننا؟ ونحن أشد غربةً وأقل ناصراً وعددا؟

وعلى مرِّ تاريخ علماء المسلمين من القرون الأولى وقع بين أهل السنة خلافات مشهورة مذكورة في كتب التاريخ، وجرّت من ورائها الويلات على الخاصة والعامة من أهل السنة، وربما حضرت فيها حظوظُ النفس، أو الوقوع في الإفراط إثباتاً وفعلاً، أو التفريط نفياً وتركا! وغالب ما يقع ذلك في المسائل المحتملة، والعبارات المجملة المحتملة لأكثر من معنى وقصد! كما حصل في مسألة اللفظ، وصفات الفعل اللازم، وبعض مسائل الرؤية، بل ربما وقع ذلك منهم في مسائل فروع الفقه كبعض مسائل الرِّبا والطَّلاق ونحوه، فوقع ما وقع بين تلك الأمم، وأولئك النفر الأمر المحزن من الاختلاف والتدابر والتهاجر والاحتقار ما الله به عليم، و ﴿**تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾ [البقرة: ١٣٤] وإلَّا ما حصل من أولئك ليس من دين الله تعالى في شيء، وقد كان خيار السلف يختلفون في المسألة الواحدة، ويغضب كلٌّ لقوله، وينتصرُ له، ويغلظ على صاحبه، ومع ذلك بقي معهم ما بقي من حقوقِ الأخوُّة الإسلامية، ولم يتهاجروا أو يتدابروا، وهذا من

تمام العلم والعقل والعدل مما يكاد يفقد اليوم بين كثير من المختلفين!

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى عن شأن السلف في مسائل الخلاف: «وكانوا يتناظرون في المسألة مناظرة مشاورة ومناصحة وربما اختلف قولهم في المسألة العلمية والعملية مع بقاء الألفة والعصمة وأخوة الدين، نعم من خالف الكتاب المستبين والسنة المستفيضة أو ما أجمع عليه سلف الأمة خلافا لا يعذر فيه فهذا يعامل بما يعامل به أهل البدع، فعائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قد خالفت ابن عباس رضي الله عنهما وغيره من الصحابة في أن محمداً ﷺ رأى ربه وقالت: «**من زعم أن محمدا رأى ربه فقد أعظم على الله تعالى الفرية**» وجمهور الأمة على قول ابن عباس مع أنهم لا يبدعون المانعين الذين وافقوا أم المؤمنين رضي الله عنها، وكذلك أنكرت أن يكون الأموات يسمعون دعاء الحي لما قيل لها: إن النبي ﷺ قال: «**ما أنتم بأسمع لما أقول منهم**» فقالت: «**إنما قال: إنهم ليعلمون الآن أن ما قلت لهم حق**» ومع هذا فلا ريب أن الموتى يسمعون خفق النعال كما ثبت عن رسول الله ﷺ: «**وما من رجل يمر بقبر الرجل كان يعرفه في الدنيا فيسلم عليه إلا رد الله عليه روحه حتى يرد عليه السلام**» صح

ذلك عن النبي ﷺ إلى غير ذلك من الأحاديث، وأم المؤمنين تأوَّلت والله يرضى عنها، وكذلك معاوية نقل عنه في أمر المعراج أنه قال: «**إنما كان بروحه**» والنَّاس على خلاف معاوية رضي الله عنه ومثل هذا كثير، وأما الاختلاف في "الأحكام" فأكثر من أن ينضبط **ولو كان كلما اختلف مسلمان في شيء تهاجرا لم يبق بين المسلمين عصمة ولا أخوة** ولقد كان أبو بكر وعمر رضي الله عنهما سيدا المسلمين يتنازعان في أشياء لا يقصدان إلا الخير، وقد قال النبي ﷺ لأصحابه يوم بني قريظة: «**لا يصلين أحدٌ العصر إلا في بني قريظة**» فأدركتهم العصر في الطريق فقال قوم: لا نصلي إلا في بني قريظة وفاتتهم العصر، وقال قوم: لم يرد منا تأخير الصلاة فصلوا في الطريق فلم يعب واحدا من الطائفتين». أخرجاه في الصحيحين من حديث ابن عمر»[1].

وقال في موطن آخر: «وإنما الغرض بيان أن هذه "المسألة" ليست من المهمات التي ينبغي كثرة الكلام فيها وإيقاع ذلك إلى العامة والخاصة حتى يبقى شعارا ويوجب تفريق القلوب وتشتت الأهواء، وليست هذه "المسألة" فيما علمت مما يوجب المهاجرة والمقاطعة؛ فإن الذين تكلموا فيها قبلنا عامتهم أهل سنة

[1] "مجموع الفتاوى" (٢٤/ ١٧٢).

واتباع وقد اختلف فيها من لم يتهاجروا ويتقاطعوا كما اختلف الصحابة ﷺ- والناس بعدهم - في رؤية النبي ﷺ ربه في الدنيا وقالوا فيها كلمات غليظة كقول أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: «**من زعم أن محمدا رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية**» ومع هذا فما أوجب هذا النزاع تهاجرا ولا تقاطعا، وكذلك ناظر الإمام أحمد أقواما من أهل السنة في "مسألة الشهادة للعشرة بالجنة" حتى آلت المناظرة إلى ارتفاع الأصوات وكان أحمد وغيره يرون الشهادة ولم يهجروا من امتنع من الشهادة؛ إلى مسائل نظير هذه كثيرة»[١].

فتأملوا هذا الكلام جيداً من هذا الإمام رحمه الله تعالى، ثم تأملوا في أسباب كثير من الاختلاف بين كثير من أهل السنة اليوم، وستجدون أنه لا يخرج عن أصل آفة البشر، ووقوعهم في كل شر، وهو:

[١] داء الجهل.

[٢] وداء الهوى.

---

[١] "مجموع الفتاوى" (٦/ ٥٠٢).

أما داء الهوى فهو التعصب المذموم، والانتصار للرأي وللشيخ وللطائفة بغير حق، وهذا من القوادح في صدق الإسلام والاستسلام لله والانقياد للحق.

أما داء الجهل فبعدم معرفة ما يعرفه العلماء الأولون والمحققون، وتمييز ما يوجب الخلاف مما لا يوجبه، وما يعذر فيه المرء مما لا يعذر فيه، وما الشبهة فيه سائغة وما لا يسوغ فيه الاشتباه، وما يؤجر بالخلاف فيه وما لا يؤجر، وما يوجب التفسيق والتبديع والتكفير وما لا يوجبه، وما يوجب الهجر مما لا يوجبه.

كل ذلك مما يكاد يغيب عن كثير من خاصة إخواننا أهل السنة اليوم لعارض الجهل بهذه الأمور، بل ربما تجاوز الجهل بامتحان الناس بقوله، وجعله شعاراً له يفصل به بين الناس من هو (معه) على هدى، ومن (خالفه) في ضلال مبين! وهذا من وخيم المذاهب، وقبيح الجهل، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: «ومن ذلك: أنه لا ينبغي لأهل العلم أن يجعلوا هذه المسألة محنة وشعارا يفضلون بها بين إخوانهم وأضدادهم؛ فإن مثل هذا مما يكرهه الله ورسوله، وكذلك لا يفاتحوا فيها عوام المسلمين الذين هم في عافية وسلام عن الفتن ولكن إذا سئل

الرجل عنها أو رأى من هو أهل لتعريفه ذلك ألقى إليه مما عنده من العلم ما يرجو النفع به»[١].

وأنشد الإمام ابن القيم:

وتعرّ من ثوبين من يلبسهما يلقى الردى بمذمةٍ وهوانِ
ثوبٌ من الجهلِ المركّب فوقَهُ ثوبُ التعصّب بئست الثوبانِ
وتحلَّ بالإنصاف أفخر حلةٍ زانت به الأعطاف والكتفانِ
واجعل شعارك خشية الرحمن مع نصح الرسول فحبذا الأمـرانِ

وغالب المسائل التي يقع فيها الخلاف بين أهل السنة اليوم - ولو كانت متعلقة بمسائل الاعتقاد- فإن موجب النزاع فيها غالباً رأيته في أحد أمرين:

[١] إما الإجمال في الألفاظ فتحتمل أكثر من معنى مما يراد ولا يراد، فيلزم بما لا يراد، ويغفل عما أراد.

وهكذا الألفاظ المجملة تأتي على المرء بالمصائب في دينه ما لم يبين ويوضّح! وخاصة أبواب الاعتقاد.

وأنشد ابن القيم:

فعليك بالتفصيل والتمييز فالـ ـإطلاقُ والإجمالُ دونَ بيانِ
قد أفسدا هـذا الوجود وخبَّطا الـ ـأذهانِ والآراءِ كـلَّ زمانِ

[١] "مجموع الفتاوى" (٦/ ٥٠٤).

[٢] أو باستحداث ألفاظٍ ما نطق بها السلف الصالح، فتحمل على أبعد المحامل، وتورد بسببها الموارد، وهذا يكثر اليوم في مسائل الإيمان كمسألة جنس العمل وشروط الإيمان ونحوه.

ولو طُرد داعي الشيطان، وجلس معاشر الإخوان مجالس نصح، وأحب المرء لأخيه ما يحب لنفسه، وفحصوا المسائل وميزوها، ونقدوا الألفاظ وحرروها، وبحثوا المعاني وصححوها لذهب كثيرٌ من الخلاف والنزاع الواقع بينهم اليوم.

ولكن حينما يحضر شيطان الهوى ممتطياً فرس الجهول في ميدان الجدل الذي نُهينا عنه فإنه لا يخرج إلا بالشطح عن السنة، والخروج بأقوال وآراء ما يعرفها الأولون ولا المحققون، بل ربما يقع المرء فيما فرّ منه ابتداء، لأن الهداية صراط مستقيم وعن جنبتيه ميادين الضلال، وسبل الشيطان! فمن زل يميناً أو شمالاً هلك، ووقع في الإفراط أو التفريط، والغلو أو الجفاء، وهذا كلُّه مما أخبر عنه النبيﷺ وحذر، كما روى الإمام أحمد وغيره عن عبد الله بن مسعودرضي الله عنه قال: **خطَّ لنا رسول الله ﷺ خطَّاً، ثم قال:** «**هذا سبيل الله**» ثم خط خطوطا عن يمينه وشماله، ثم قال: «**هذه سبل متفرقة، على كل سبيل منها شيطان**

يدعو إليه» ثم قرأ: ﴿**وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ**﴾.

والجدل آفة الآفات المؤدية إلى بحور الضلالات، ولذا حذَّرنا منه نبيناﷺ فقال فيما رواه الترمذي وغيره عن أبي أُمامة الباهليرضي الله عنه قال: قال رسول اللهﷺ: «**ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدال**» ثم تلا: ﴿**مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ**﴾ [الزخرف: ٥٨].

فتركه خيرٌ كلّه ولو كان المرء محقاً، كما قال النبيﷺ: «**أنا زعيم ببيت في ربض الجنة لمن ترك المراء وإن كان محقا، وببيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحا، وببيت في أعلى الجنة لمن حسن خُلُقه**» رواه أبو داود وغيره بسند جيد من حديث أبي أُمامة الباهليرضي الله عنه.

وقد أكثر أهل العلم الكلام عن الجدل وآفاته وأضراره وأخصُّ الوصية بما كتبه الإمام محمد بن الحسين الآجرِّي في كتابيهِ "الشريعة" و"أخلاق العلماء" ففيهما ما ينزع لوثة الجدل، وحبَّ المراء من القلب بإذن الله.

فصلٌ

إذا عُلم ما تقدّم فإن من أصول الشريعة أن «**الحلال بيّن، والحرام بيّن، وبينهما أمور مشتبهات**»، وكذلك: «التوحيد بيّن، والشرك بيّن، وبينهما أمورٌ مشتبهات» و«السنة بيّنة، والبدعة بيّنة، وبينهما أمورٌ مشتبهات»، و«البيع بيّن، والربا بيّن، وبينهما أمور مشتبهات» و«النكاح بيّن، والزنى بيّن، وبينهما أمورٌ مشتبهات»، وعلى ذلك يقاس كافة ما أمر الله تعالى به، ونهى عن ضدّه، ومن ذلك مسائل التوحيد والشرك، والإيمان والكفر، فقد بيّنها الله تعالى، وبينها الرسولﷺ أتمّ البيان وأكمله، مما لا يخفى على أبلد العامة، فالبيّن من ذلك كلّه قبولا ورفضاً، إقراراً وإنكاراً، لا يجوز لأحد أن يخالف فيه، ومن خالف يعامل بحسب ما خالف فيه، ولكن ما لم يكن صريح الدليل، بيّن الحكم، فلا يجوز لأحد أن يجزم في المسألة بقولٍ يحمله على تضليل من خالفه فيه وتبديعه، وإنما يُعد هذا الباب من مسائل البحث والنظر، التي يستع فيها الخلاف، ولا توجب التبديع والتضليل، خاصة إن لم يتكلم في المسألة أحدٌ من السلف الكرام: من الصحابة والتابعين وأتباعهم وأئمة الدين؛ الذين إنما

الدين الحق ما كانوا عليه، والعقيدة الصادقة ما حفظوها لنا، ونُقلت إلينا في كُتب السنة والآثار.

وأمر الشفاعة كلُّه لله تعالى، كما قال تعالى: ﴿**قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا**﴾ وقد بين الله تعالى سبب كونها له سبحانه بقوله بعد ذلك: ﴿**لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ**﴾ [الزمر: ٤٤]، فالوجود كلّه ملك الله تعالى، فلا يكون في ملك الملك من شفاعة إلا بما يشاء ويختار، فلا يجوز لأحدٍ أن يتكلم في باب الشفاعة بنفي أو إثبات إلا بخبر عن الملك سبحانه وتعالى، وإلا فهو من الذين يقولون على الله بغير علمٍ، ومن الذين يفترون على الله الكذب؛ ﴿**وَمَا ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ**﴾ [يونس: ٦٠].

وقد جاءت النصوص الصريحة الواضحة في الشفاعة بيّنة الثبوت وإقرارها، كما جاءت النصوص الصريحة الواضحة في الشفاعة بيّنة النفي وإنكارها.

فصل

أمّا الشفاعة المثبتة:

فهي التي أذن الله تعالى بها للشافع أن يشفع، ورضي عن المشفوع له؛ بأن يكون من أهل التوحيد، أو من خصّه الله تعالى بما يشاء من تخفيف عذابٍ ونحوه.

أما الإذن للشافع؛ فهو على ضربين:

[١] دنيوي.

[٢] وأخروي، من بعد الموت إلى يوم العرض.

أما الشفاعة الدنيوية؛ فبما أذن الله تعالى به وشرع على لسان رسولهﷺ من الدعاء للغير، والاستغفار له، والصلاة عليه، كما قال تعالى: ﴿**وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا**﴾ [النساء: ٦٤]، وقال تعالى: ﴿**وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**﴾ [التوبة: ١٠٣]، وقال تعالى: ﴿**قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ**﴾ [الأعراف: ١٥١]، وقال تعالى: ﴿**رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ**﴾ [إبراهيم: ٤١]، وقال تعالى: ﴿**الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا**﴾

[غافر: ٧]، وقال تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ**﴾ [الحشر: ١٠]، وقال تعالى عن نوح عليه السلام: ﴿**رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ**﴾ [نوح: ٢٨]، فكلّ هذا النوع من الاستغفار **شفاعةٌ** ودعاء للمستغفَرِ لهم، بأن يغفر الله لهم، ومنه دعاء النبي ﷺ للصحابة في أكثر من حديث، ومنه صلاة النبي ﷺ على جموعٍ من صحابته وأهل بيته، بذلاً وإجابةً لسؤال، بأن يأتيه الصحابي فيسأله الدعاء له، فكلّ هذه من فروع الشفاعة التي أذن الله تعالى بها لأن الملك مُلكه، والسلطانَ سلطانُه، ولو لم يشرع الله تعالى ذلك ما كان لأحدٍ أن يدعو لأحدٍ، أو يستغفرَ له، أو يصلي عليه إذا مات.

والمشفوع له في الدنيا على ضربين:

[١] المشفوع له بمطلق الدعاء.

[٢] المشفوع له بخصوص الصلاة والاستغفار له.

أما مطلق الدعاء له بالهداية أو الشفاء ونحوه؛ فهو جائز، للمسلم والكافر، أما المسلم فواضح كما تقدم ومنه قوله ﷺ عن ابن عباس رضي الله عنهما: «**اللَّهُمَّ فقهه في الدين وعلّمه التأويل**»، وقوله ﷺ

في سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه: «**اللَّهُمَّ اشفِ سعداً**» وما شابهه، وأما الكافر فكما جاء في أحاديث؛ كقوله ﷺ: «**اللَّهُمَّ اهدِ دوساً**»، وقوله ﷺ: «**اللَّهُمَّ اهدِ أمَّ أبي هريرة**»، وغير ذلك من أحاديث، وهي محل بحث لطيف في ذكر من دعا لهم النبي ﷺ، ومن جنس ذلك الدعاء لمريضهم، ومن فروعه الرقية، وهي جائزة للمسلم والمشرك كما في حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه المشهورة في قصة اللديغ.

وعقد عليه الإمام البخاري في "صحيحه" (٤/ ٤٤): «باب الدعاء للمشركين [بالهدى ليتألفهم]».

ومن جنس ذلك: الشفاعة لهم بدفع العذاب الدنيوي عنهم من الريح والصيحة ونحوه، كما قال النبي ﷺ لما شجَّوا رأسه ﷺ وآذوه: «**اللَّهُمَّ اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون**» أي لا تعذبهم عذاب استئصال، وليس المراد بالمغفرة هنا: حطّ الذنوب، فالشركُ ذنبٌ لا يغفر إلا بالإسلام والبراءة من الشرك، وإنما المراد بقوله ﷺ: «**اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون**» أي عفوك وتجاوزك عن جُرمهم فلا تعذبهم في الدنيا عذاب استئصال يذهب بهم.

قال ابن حبان في "الصحيح" (٣/ ٢٥٥): «يعني هذا الدعاء أنه، قال يوم أحد لما شج وجهه، قال: «**اللَّهُمَّ اغفر لقومي**» ذنبهم بي من

الشج لوجهي، لا أنه دعاء للكفار بالمغفرة...»، وينظر "فتح الباري" لابن حجر (٦/ ٥٢١).

وذكر الحافظ ابن حجر في "الفتح" (١١/ ١٩٦) أن المراد: «العفو عما جنوه عليه في نفسه لا محو ذنوبهم كلها لأن ذنب الكفر لا يمحى أو المراد بقوله اغفر لهم اهدهم إلى الإسلام الذي تصح معه المغفرة أو المعنى اغفر لهم إن أسلموا والله أعلم».

وقال العيني في "شرح البخاري" (٢٣/ ١٩): «إهدهم إلى الإسلام الذي تصح معه المغفرة، لأن ذنب الكفر لا يغفر، أو يكون المعنى: اغفر لهم إن أسلموا».

أما خصوص الصلاة والاستغفار؛ فهو من خصائص المسلمين كما تقدم وكما هو مستفيض معلوم في كتب الفقه في أبواب الجنائز، إلا من تُرك فعل ذلك له من باب الرَّدع والزجر لا من باب عدم الاستحقاق والأهلية، كما ترك النبيﷺ الصلاة على الغال وغيره.

أما الاستغفار للمشركين، والصلاة والترحم عليهم، فلا يجوز ذلك كلّه، وهو من الشفاعة المنفية، والله تعالى يقول: ﴿**مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ**﴾ [التوبة: ١١٣] وقال

تعالى: ﴿**وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ**﴾ [التوبة: ٨٤]، وثبت في الصحيح أن النبيﷺ زار قبر أمه، فبكى وأبكى من حوله، فقال: «**استأذنت ربي في أن أستغفر لها فلم يؤذن لي، واستأذنته في أن أزور قبرها فأذن لي، فزوروا القبور فإنها تذكر الموت**»، وتدخل الصلاة والاستغفار لهم في الدنيا في عموم الآيات الدالة على نفي الشفاعة عن المشركين الآتي ذكرها.

أما الشفاعة الأخروية؛ فالمسلم من حين موته يجوز: الدعاء له بالرحمة، والاستغفار له، والصلاة عليه، وهذا مشروع مأذون به في السنة المتواترة الصحيحة عن النبيﷺ.

أما الكافر: فمن حين موته على الكفر فالشفاعة له –بالدعاء والاستغفار والصلاة والترحم عليه- **لا تجوز** لأنَّ في وفاته على الكفر دليل على أنه من أصحاب الجحيم كما قال تعالى: ﴿**مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ**﴾ [التوبة: ١١٣] قال أهل التفسير: لما تبيّن لنا موتهم على الكفر.

والله تعالى يقول عن نفي الشفاعة عن المشركين: ﴿**وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ**﴾ [سبأ: ٢٣] ﴿**يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ**

﴿الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا﴾ [طه: ١٠٩] ﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ [غافر: ١٨] والشرك رأس الظلم، وقال تعالى: ﴿فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾ [المدثر: ٤٨].

وكما أن أمر الشفاعة في الدنيا لله، كذلك في الآخرة، والله تعالى يقول: ﴿لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾ [مريم: ٨٧] ويقول: ﴿وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [الزخرف: ٨٦].

فصلٌ

إذا عُلم ما تقدم من كلامٍ وتفصيلٍ في أمرِ الشفاعة، من حيث بيان المأذون له، والمرضي عنه، يبقى مسألة «**طلب الشفاعة**»، وهي في ثلاث مسائل:

الأولى: طلب الشفاعة الدنيوية من الحاضر القادر.

الثانية: طلب الشفاعة الأخروية من الأموات.

الثالثة: طلب الشفاعة الأخروية من الحي.

أما طلب الشفاعة – من الدعاء والاستغفار- الدنيوية من الحي الحاضر القادر، فهي مشروعة كما تقدم من نصوص، كما في قوله تعالى: ﴿**وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا**﴾ [النساء: ٦٤]، ومنه قول النبيﷺ لعمر بن الخطابرضي الله عنه في إمام التابعين أويس القرني: «**إن استطعت أن يستغفر لك فافعل**» رواه مسلم.

ومنه حديث الأعمى في قصة عثمان بن حُنَيفرضي الله عنه عند الترمذي (٥/ ٥٦٩) أنَّ رجلا ضرير البصر أتى النبيﷺ فقال: ادع الله أن يعافيني قال: «**إن شئت دعوت، وإن شئت صبرت فهو خير لك**»، قال: فادعه، قال: فأمره أن يتوضأ فيحسن وضوءه ويدعو بهذا الدعاء: «**اللَّهُمَّ إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد**

نبي الرحمة، إني توجهت بك إلى ربي في حاجتي هذه لتقضى لي، اللَّهُمَّ فشفعه فيَّ» قال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه من حديث أبي جعفر وهو الخطمي»، ففي الحديث طلب الرجل من النبيﷺ وهو حي حاضر قادر على أن يدعو له مع دعائه لنفسه، فالنبيﷺ وعده بالدعاء وأوصاه بالدعاء، أما وعده بالدعاء فمن قوله: «**إن شئت دعوت**» وأما وصيته بالدعاء فبما أوصاه النبيﷺ أن يقوله من دعاء.

ومنه قول الأعرابي للنبيﷺ: «**نستشفع بك على الله**» رواه أبو داود (٤/ ٢٣٢).

ومنه طلب عمر بن الخطابﷺ من العباس بن عبدالمطلبﷺ الاستسقاء للناس، قولهﷺ: «**اللَّهُمَّ إنا كنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا**»، قال: «فيُسقون» رواه البخاري، وكان توسل الصحابة بالنبيﷺ بدعائه حيث كان يأتي الرجل فيطلب منه الدعاء والاستغاثة فيدعو لهم فيمطرون، وجاء في رواية للزبير بن بكار أن العباسﷺ قال في دعائه: «**وقد توجَّه بي القوم إليك لمكاني من نبيكﷺ فاسقنا الغيث**»، فأرخَت السماء مثل الحبال حتى أخصبت الأرض[1].

---

[1] ينظر "خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى" (١/ ٤٢٤).

واستسقى معاويةرضي الله عنه بيزيد بن الأسود، فقال: «اللّٰهُمَّ أنا نستسقي بيزيد بن الأسود؛ **يا يزيد ارفع يديك إلى الله تعالى** فرفع يديه ورفع النّاس أيديهم فثارت سحابة من المغرب كأنها ترس وهب بها ريح فسقوا حتى كاد النّاس لا يبلغون منازلهم، رواه أبو زرعة الدمشقي في تاريخه بسند صحيح، ورواه أبو القاسم اللالكائي في السنة في كرامات الأولياء منه (٩/ ٢١٥) [١].

وروى ابن بشكوال في "المستغيثين بالله" (رقم١٤٦) من طريق ضمرة، عن ابن أبي حملة قال: أصاب الناس قحط بدمشق، فخرج الضحاك بن قيس يستسقي فقال: أين يزيد بن الأسود، فقام وعليه برنس، ثم حمد الله وأثنى عليه ثم قال: «**أي ربّ إن عبادك تقربوا بي إليك فاسقهم**»، قال فما انصرفوا إلا وهم يخوضون في الماء.

فكل ذلك من الاستشفاع المشروع، ومن طلب الدعاء من الحي الحاضر القادر.

---

[١] التلخيص الحبير (٢/ ٢٠٦).

فصلٌ

أما طلب الشفاعة من الأموات والجمادات فهو من دين المشركين، ومن الشفاعة المنفية التي أخبر الله تعالى بأن آلهة المشركين لا تملكها، وأن طالبها منهم ﴿**كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ**﴾ [الرعد: ١٤]، وقد كانت عبادة المشركين لمعبوداتهم من هذا القبيل، كما قال تعالى: ﴿**وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ**﴾ [يونس: ١٨] وقال تعالى: ﴿**أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ**﴾ [الزمر: ٣].

فالأموات والأصنام نفى الله عنهم أربعة أمور، وبها تنقطع علائق اتخاذهم آلهة من دون الله تعالى، فقال تعالى: ﴿**قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ * وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَنْ**

﴿قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ [سبأ:٢٢- ٢٣].

فكل من يُدعى من دون الله تعالى:

[١] لا يملك في الوجود مثقال ذرة.

[٢] وليس شريكاً لله تعالى في ملكه.

[٣] ولا مؤازراً لله تعالى في تدبيره لمُلكِه.

[٤] ولا تنفع شفاعته.

فدلّ ذلك على أن طلب الشفاعة من الأموات من الشرك بالله تعالى، ولو كان المستشفع بهم حاضراً عند قبر الميت، لأن الميت في قبره لا يسمع «**سماع استجابة**»، لقوله تعالى: ﴿**وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ**﴾ [فاطر: ٢٢]، وقال تعالى: ﴿**إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ**﴾ [الأنعام: ٣٦].

أما سماع الميت لقرع النعال، والسلام عليه ونحوه، فهو «**سماع إدراك**» على صورة يعلمها الله تعالى، وبذلك ينتظم القول في الجمع بين النصوص الواردة في سماع الأموات، وقد بسطت هذا في غير هذا الموطن.

فصلٌ

أما مسألة طلب الشفاعة الأخروية من الحيِّ الحاضرِ، فإنَّ الأصل أن الشفاعة ملكٌ لله تعالى، ولا يُشفع عنده إلا بإذنه سبحانه وتعالى، واعتقادُ أنَّ أحداً يملك الشفاعة كيف شاء - كما يعتقده غلاة الصوفية في متبوعيهم بل معبوديهم بأنه يوم القيامة يُدخل مريديه الجنة، ونحوه - شركٌ ظاهرٌ.

ويبقى النَّاس بعد ذلك على قسمين:

[١] موعودٌ بِها.

[٢] مأمولٌ أن يكون من المأذونين لهم بها لدينه وصلاحه.

أما الموعود بها؛ فهو النبيﷺ الذي وعده الله بالمقام المحمود يوم القيامة، كما قال تعالى: ﴿**وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا**﴾ [الإسراء: ٧٩]، وهوﷺ موعودٌ بها ولا يملكها، ولم يؤذن بها في حال حياته بله وهو في قبره، وإنما إذا حان حينها يوم القيامة، وجرى على الخلائق ما أخبر عنه النبيﷺ يستأذن ربّه عز وجل، ويسجد تحت العرش، ويفتح الله عليه محامد لم تفتح عليه من قبل، فيقال له: «**يا محمد؛ ارفع رأسك، وسل تعطه، واشفع تشفَّع**»، ومن سأل النبيﷺ الشفاعة

يوم القيامة لم يكن يعطيها من يشاء فهو لم يؤذن بها بعد وإنما وُعد بها، وإنما كان يجيبه النبيﷺ بأحد ثلاثة أجوبة:

[١] إما إرشاده إلى عملٍ من عمل به استحق الشفاعة، ودخل فيمن يكرمه الله تعالى بشفاعة النبيﷺ، ومنه ما جاء في حديث ربيعة بن كعب قال: قال لي رسول اللهﷺ: «**سلني أعطك**»، قلت: يا رسول الله، أنظرني أنظر في أمري، قال: «**فانظر في أمرك**»، قال: فنظرتُ فقلت: إن أمر الدنيا ينقطع فلا أرى شيئاً خيراً من شيء آخذه لنفسي لآخرتي، فدخلت على النبيﷺ فقال: «**ما حاجتك؟**»، فقلت: يا رسول الله، اشفع لي إلى ربك عز وجل، فليعتقني من النار، فقال: «**من أمرك بهذا؟**»، فقلت: لا والله يا رسول الله، ما أمرني به أحد، ولكني نظرت في أمري فرأيت أن الدنيا زائلة من أهلها، فأحببت أن آخذ لآخرتي، قال: «**فأعني على نفسك بكثرة السجود**» رواه الإمام أحمد (٢٧/ ١١٧) وغيره، وأصله في صحيح مسلم (١/ ٣٥٣).

وما رواه ابن المبارك في "الزهد" (١/ ٤٥٥) والمروزي في "تعظيم قدر الصلاة" (١/ ٣٢٩) عن فاطمة بنت الحسين، أن رجلاً، قال: يا رسول الله، ادع الله أن يجعلني من أهل شفاعتك، قال: «**أعني بكثرة السجود**».

والأحاديث في ذكر الأعمال الصالحة التي من فعلها ينال الشفاعة يوم القيامة كثيرة.

[٢] أو الدعاء له بأن يكون السائل من المشفوع لهم، كما في حديث معاذ وأبي موسى رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «**أتاني آت من ربي فخيرني بين أن يدخل ثلث أمتي الجنة وبين الشفاعة، فاخترت لهم شفاعتي، وعلمت أنها أوسع لهم**» فقالا: يا رسول الله، ادع الله أن يجعلنا من أهل شفاعتك، **فدعا لهما**، ثم إنهما انتهيا إلى أصحاب رسول الله ﷺ وأخبراهم بقول رسول الله ﷺ. قال: فجعلوا يأتونه ويقولون: يا رسول الله، ادع الله أن يجعلنا من أهل شفاعتك، فيدعو لهم، فلما أضب عليه القوم وكثروا، قال رسول الله ﷺ: «**إنها لمن مات، وهو يشهد أن لا إله إلا الله**» رواه الطيالسي(٢/ ٣٤٠) والإمام أحمد (٣٢/٤٩٩)، وغيرهما بإسناد لا بأس به على كلامٍ فيه.

[٣] أو أنَّ النبي ﷺ يَعِد السائل بالشفاعة يوم القيامة ثقةً بصادقِ وعد الله تعالى له يوم القيامة، كما جاء فيما رواه الإمام أحمد (٢٠/٢١٠) والترمذي (٤/ ٦٢١) واللفظ له عن أنس رضي الله عنه قال: سألت النبي ﷺ أن يشفع لي يوم القيامة، فقال: «**أنا فاعل**» قال: قلت: يا رسول الله فأين أطلبك؟ قال: «**اطلبني أول ما تطلبني**

على الصراط»، قال: قلت: فإن لم ألقك على الصراط؟ قال: «**فاطلبني عند الميزان**»، قلت: فإن لم ألقك عند الميزان؟ قال: «**فاطلبني عند الحوض فإني لا أخطئ هذه الثلاث المواطن**».

قال الترمذي: «هذا حديث حسن غريب، لا نعرفه إلا من هذا الوجه» وصححه الضياء في المختارة (٧/ ٢٤٦).

ولأنَّ النبيﷺ كان موعوداً بالشفاعة بوعد الله الصادق الحق، كان الصحابةﷺ يسألونه ذلك، فكان يجيبهم بذلك، وقد روى عبدالرزاق (٩/ ٤٦٦) والطبراني (....) وأبو نعيم في "المعرفة" (١٦٠٩/٣) عن عبدالله بن جبير الخزاعي قال: طعن رسول اللهﷺ رجلا في بطنه إما بقضيب وإما بسواك، فقال: أوجعتني فأقدني، فأعطاه العود الذي كان معه، فقال: «**استَقِد**»، فقبل بطنه، ثم قال: «**بل أعفو لعلك أن تشفع لي بها يوم القيامة**».

قال الهيثمي في "مجمع الزوائد" (٦/ ٢٨٩): «رواه الطبراني، ورجاله ثقات»، واختاره الضياء (٩/ ١٣٣).

أما المأمول بأن يكون من المأذونين بالشفاعة لدينه وصلاحه؛ -وهو محل النزاع بين الإخوان- كالمقبل على قتال المشركين والشهادة في سبيل الله، وكالرجل الصالح، **ولا أعلم دليلاً صريحاً من قرآن أو سنة يدل على مشروعية ذلك**، إلا ما ورد في النبيﷺ

وهو **موعود** بها كما تقدم، ولكن في المأمول أن ينال الشفاعة لا أعلم دليلاً في ذلك، **فالأولى تركه صيانةً للتوحيد، وسدّاً لباب الشرِّ، وكي لا يتوسع الناس في طلبها من كلّ أحدٍ، وربما يزداد بعض الجهال وضعاف النفوس تعلقاً بمن يؤملون شفاعتهم أكثر من تعلقهم بالله تعالى ورحمته، لذلك فالأولى ترك ذلك وعدمه.**

فإن فعل ذلك أحدٌ، هل يصل إلى الشرك؟

الجواب: لا يصل إلى الشرك، لأنه طلبٌ معلّق بالإذن الرباني في الآخرة، فالسائل لا يعتقد أنه يملكها، وإنما علّق الأمر على ما إن ملّكه الله إياها وأذن له بذلك، وقد ثبت في السنة الصحيحة أن جمعاً من الخلائق يشفعون يوم القيامة من الملائكة والنبيين والصالحين والشهداء والصالحين والأفراط، والنبيﷺ طُلبت منه الشفاعة في حياته ولم ينكر على من طلب ذلك، مع أنه لم يؤذن له بها بعد، وإنما هو **موعود بها بعينه**، كما أن الصالحين والشهداء **موعودون بها بدون تعيين**، فيكون من طلبها منهم على وجه التعليق كمن طلبها من النبيﷺ على وجه الجزم، فلا شرك في ذلك، ولم أجد من أنكر ذلك أو وصفه بالشرك، بل وُجدَ من روي عنه العمل بنحو ذلك، كما روى الإمام أحمد

(٣٧/ ٣٨٤) ومسلم (١/ ٥٧) عن الصُّنابحي أنه قال: دخلت على عبادة بن الصامت وهو في الموت فبكيت فقال: «**مهلا لم تبكي؟ فوالله لئن استشهدت لأشهدن لك، ولئن شفعت لأشفعنَّ لك، ولئن استطعت لأنفعنَّك**».

وروى ابن سعد (٥/ ٢٣) عن علي بن الحسين أن كعباً، أخذ بيد المغيرة بن نوفل، فقال: «**اشفع لي يوم القيامة**»، قال: فانتزع يده من يده، وقال: وما أنا، إنما أنا رجل من المسلمين، قال: فأخذ بيده ، فغمزها غمزا شديداً، وقال: «**ما من مؤمن من آل محمد إلا وله شفاعة يوم القيامة**»، ثم قال: «**اذكر هذا بهذا**»، أي اذكرني يوم القيامة بغمز يدي ليدك حتى لا تنسَ أن تشفع لي.

وروى أبو نعيم في "الحلية" (٦/ ٤٢) والآجري في "الشريعة" (٣/ ١٢٥١) عن عطية قال: أخذ كعب بيد العباس بن عبدالمطلب رضي الله عنه فقال: «**احفظها لي عندك، تشفع لي بها يوم القيامة**»، فقال العباس: وهل لي من شفاعة؟ قال: «**نعم ، إنه ليس أحد من أهل بيت نبي يسلم إلا كانت له شفاعة**».

قال محمد بن الحسين الآجري رحمه الله تعالى بعد ذلك: «فأنا أرجو لمن آمن بما ذكرنا من الشفاعة وبقوم يخرجون من النار من الموحدين، وبجميع ما تقدم ذكرنا له، وبجميع ما سنذكره إن

شاء الله من المحبة للنبيﷺ ولأهل بيته وذريته وصحابته وأزواجه رضي الله عنهم أجمعين: أن يرحمنا مولانا الكريم، ولا يحرمنا وإياكم من تفضله ورحمته، وأن يدخلنا وإياكم في شفاعة نبينا محمدﷺ، وشفاعة من ذكرنا من الصحابة وأهل بيته، وأزواجه رضي الله عنهم أجمعين، ومن كذب بالشفاعة ، فليس له فيها نصيب ، كما قال أنس بن مالك» انتهى.

وقد سُئل شيخنا ابن باز رحمه الله تعالى ما صورته: أحسن الله إليك يا شيخ؛ لو أن شخصاً رأى رجلاً مثلاً ذاهباً إلى الجهاد في سبيل الله، وقال: إن استشهدت في سبيل الله، اشفع لي عند الله عز وجلّ، فما حكم ذلك؟

فأجاب شيخنا رحمه الله تعالى: «هذا يشفع بعد الموت، هذا محله بعد البعث والنشور، أقول: بعد البعث والنشور، يطلب منه الآن، يوصيه وهو حي بمعنى إذا بُعث يوم القيامة يشفع له»[1].

أما ما استدل به بعض الفضلاء من قول الشيخ عبدالرحمن بن حسن رحمه الله تعالى: «فكفر بمن تعلق على غيره تعالى، ورغب إليه ورجاه، واعتمد عليه في أن يشفع له عند الله.

[1] "شرح كشف الشبهات"(ص ١٢٥).

فدلت هذه الآيات على أن من فعل ذلك، فهو مشرك بالله، كافر به؛ قال تعالى: ﴿**أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا لا يَمْلِكُونَ شَيْئاً وَلا يَعْقِلُونَ قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعاً**﴾ [سورة الزمر آية: ٤٣-٤٤] .

فالشفاعة لمن له ملك السماوات والأرض، ومرجع الخلق إليه سبحانه وتعالى؛ وهو الذي يأذن فيها لأهل التوحيد خاصة، كما قال تعالى: ﴿**مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ**﴾ [البقرة: ٢٥٥] ، ﴿**وَلا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى**﴾ [الأنبياء: ٢٨] ، وقال تعالى: ﴿**يَوْمَئِذٍ لا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلاً**﴾ [طه: ١٠٩] ، وقال: ﴿**وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَى رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلا شَفِيعٌ**﴾ [الأنعام: ٥١] .

فهؤلاء هم أهل الإخلاص، الذين لم يتخذوا من دون الله شفيعا يسألونه ويرغبون إليه؛ بل قصروا رجاءهم ودعاءهم، ورغبتهم ورهبتهم، وجميع أنواع العبادة، عليه تعالى وتقدس؛ فهو المستحق لذلك دون كل ما سواه.

فلا تطلب الشفاعة في هذه الدار، إلا من مالكها الذي لا تحصل إلا بإذنه، وهو الله تعالى، كما قال وهو أصدق القائلين: ﴿**اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ**

اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلا شَفِيعٍ أَفَلا تَتَذَكَّرُونَ﴾ [السجدة: ٤] ، وقال في سورة يونس: ﴿**يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ**﴾ [يونس: ٣] ....».

ونحوه من كلامه رحمه الله تعالى، فمراده الشفاعة المنفية، والمنفية هي التي لم يأذن الله بها، ولم يرضَ عن المشفوع له، وهي التي من طلبها يكون مشركاً كما تقدم، وكل ما ذكره من حكم إنما المراد بها المنفية، مع إثباته -كسائر العلماء- أن من الشفاعة ما هو مُثبت، والمثبت ما أذن الله تعالى به ورضي عن المشفوع له كما تقدم بيانه، وطلب الشفاعة من الحي الحاضر القادر لم تكن مطلقة حاضرة وإنما هي معلقة بحين يؤذن له من الله تعالى يوم القيامة.

يقول الشيخ عبدالرحمن عن هذه الشفاعة المنفية في "بيان المحجة في الرد على اللجة": «وقد وقع من هؤلاء من اتخاذهم شفعاء بدعائهم، وطلبهم ورغبتهم، والالتجاء إليهم، وهم أموات غافلون عنهم لا يقدرون، ولا يسمعون لما طلبوا منهم وأرادوه، وقد أخبر تعالى أن الشفاعة ملكه لا ينالها من أشرك به غيره، وهو الذي له ملك السماوات والأرض، كما قال تعالى: ﴿**وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ**

﴿وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ﴾ [الأحقاق:٥] فعاملهم الله بنقيض قصدهم من جميع الوجوه، وسجَّل عليهم بالضلال، ولهذه الآية نظائر كثيرة كقوله: ﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ إِنْ تَدْعُوهُمْ لا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ [فاطر:١٣].

فبيَّن أن دعوتهم غير الله شرك بالله، وأن المدعو من غيره لا يملك شيئا، وأنه لا يسمع دعاء الداعي، ولا يستجيب له، وأن المدعو ينكر ذلك الشرك ويتبرَّأ منه، ومن صاحبه يوم القيامة.

فمن تأمَّل هذه الآيات، انزاحت عنه بتوفيق الله وفتحه جميع الشبهات، ومما يشبه هذه الآية -في حرمان من أنزل حوائجه بغير الله، واتخذه شفيعا من دون الله بتوجيه قلبه وقالبه إليه، واعتماده في حصول الشفاعة عليه، كما قد تضمنه بيت الناظم- قول الله تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لا يَضُرُّهُمْ وَلا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [يونس:١٨].

فانظر كيف حرمهم الله الشفاعة لما طلبوها من غيره، وأخبر أن حصولها مستحيل في حقهم بطلبها في دار العمل من غيره، وهذه هي الشفاعة التي نفاها القرآن كما قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لا بَيْعٌ فِيهِ وَلا خُلَّةٌ وَلا شَفَاعَةٌ**﴾ [البقرة:٢٥٤]، وقال: ﴿**وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَى رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلا شَفِيعٌ**﴾ [الأنعام:٥١].

فهذه الشفاعة المنفية هي التي فيها شرك، وأما الشفاعة التي أثبتها القرآن فإنما ثبتت بقيدين عظيمين: إذن الرب تعالى للشفيع، ورضاه عن المشفوع له، وهو لا يرضى من الأديان الستة المذكورة في قوله: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا**﴾ [الحج:١٧] الآية، إلا الإيمان الذي أصله وأساسه التوحيد والإخلاص، كما قال تعالى: ﴿**مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ**﴾ [البقرة:٢٥٥]، وقال: ﴿**وَلا يَشْفَعُونَ إِلاَّ لِمَنِ ارْتَضَى وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ**﴾ [الأنبياء:٢٨]، وقال: ﴿**وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئاً إِلاَّ مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى**﴾

[النجم:٢٦]، وقال تعالى: ﴿**إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ**﴾ إلى قوله: ﴿**مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلاَّ مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ**﴾ [يونس:٣].

وفي الحديث الصحيح أن النبيﷺ لما ذكر شفاعته قال: «**وهي نائلة من شاء الله ممن مات لا يشرك بالله شيئا**»، وقال له أبو هريرةرضي الله عنه: من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة؟ قال: من قال «**لا إله إلا الله خالصا من قلبه**»، قال شيخ الإسلام في هذا الحديث: «فتلك الشفاعة لأهل الإخلاص بإذن الله، ولا تكون لمن أشرك بالله».

وقد كشفنا -بحمد الله- بهذه الآيات المحكمات تلبيس هذا المعترض الملبس ولجاجه وافتراءه على الله ورسوله، فإن دعوة غير الله ضلال وشرك ينافي التوحيد، وإن اتخاذ الشفعاء إنما هو بدعائهم، والالتجاء إليهم، وسؤالهم أن يشفعوا للداعي، وقد نهى الله عن ذلك، وبيَّن أن الشفاعة له، فإذا كانت له وحده فلا تُطْلَب إلا ممن هي ملكه، فيقول: اللَّهُمَّ شفِّع نبيك في؛ لأنه تعالى هو الذي يأذن للشفيع أن يشفع فيمن يرضى دينه، وهو الإخلاص كما تقدم بيانه»[1].

---

[1] "الرسائل والمسائل النجدية" (٤/٢٣٦-٢٣٨)

فكلام الشيخ عن طلب الشفاعة من النبيﷺ، وعن صنيع أهل الشرك والضلال من دعاء الصالحين والاستغاثة بهم، وبيّن أن الشفاعة لا تطلب من ميت، وإنما تطلب من الله تعالى بأن يشفِّع فيه نبيّه.

وقد قال الشيخ عبدالرحمن في الشفاعة المثبتة، والفرق بين حال الحياة والممات: «وقد قدَّمنا ما دلَّ عليه الكتاب والسنة أن ما في القرآن من ذكر الشفاعة نفيا وإثباتا فحق لا اختلاف فيه بين أهل الحق، فالشفاعة المنفية إنما هي في حق المشرك الذي اتخذ له شفيعا يطلب الشفاعة منه؛ فيرغب إليه في حصولها، كما في البيت المتقدم، وهو كفر كما صرَّح به القرآن.

وأما الشفاعة التي أثبتها الكتاب والسنة فقد ثبتت للمذنبين الموحدين المخلصين، وهذا هو الذي تظاهرت عليه النصوص واعتقده أهل السنة والجماعة، ودانوا به.

والحديث الذي أشار إليه المعترض من قوله: «**أنا لها، أنا لها**» لا ينافي ما تقرر، وذلك أن الناس في موقف القيامة إذا فزعوا إلى الرسل ليشفعوا لهم إلى الله في إراحتهم من كرب ذلك المقام بالحساب، وكلٌّ ذكر عذره، قال النبيﷺ في هذا الحديث: «**فيأتوني فَأَخِرُّ بين يدي الله ساجدا -أو كما قال- فأحمده بمحامد**

يفتحها علي، ثم يقال: ارفع رأسك، وقل يسمع، وسل تعطه، واشفع تُشَفَّع، قال: فَيُحَدُّ لي حدا، فأدخلهم الجنة».

فتأمَّل كون هذه الشفاعة لم تقع إلا بعد السجود لله ودعائه وحمده والثناء عليه، وقوله: «**فيحد لي حدا**» فيه بيان أن الله هو الذي يحد له، **وهذا الذي يقع من الناس يوم القيامة مع الرسل هو من باب سؤال الحي الحاضر، والتوسل إلى الله بدعائه كما كان الصحابةﷺ يسألون رسول اللهﷺ في حياته أن يدعو لهم إذا نابهم شيء كما في حديث الاستسقاء وغيره.**

ولما توفى الله رسولهﷺ لم يكونوا يفعلون عند قبره شيئا من ذلك البتة، ففرَّق أصحاب رسول اللهﷺ - وهم أعلم الأمة وأفضلها- بين حالتي الحياة والممات»[1].

وكلّ ما جاء عن أهل العلم بأن الشفاعة لا تُطلب إلا من الله، ليس المراد بذلك أن يكون الله شافعاً لأحدٍ عند أحدٍ من الخلق، فإن الله لا يستشفع به عند أحدٍ من خلقه كما ثبت ذلك عن النبيﷺ، وإنما المراد بذلك: أن يأذن الله للشافع أن يشفع، وآلهة المشركين، والأموات، لم يؤذن لهم أن يشفعوا، بل نفى الله شفاعتهم، كما نفى عنهم الملك والشراكة والمظاهرة،

[1] "الرسائل والمسائل النجدية" (٤/٢٣٨-٢٣٩).

فكان هذا هو الشرك الأكبر، أما حيث وُجد الإذن –في الدنيا أو الآخرة- فعلى ما سبق من تقسيم في حال الحياة والممات، وما يجوز منه وما لا يجوز.

فالتوحيد البيّن هو دعاء الله تعالى، وسؤاله، وطلب الإذن بالشفاعة منه، وطلب الشفاعة ممن أذن الله تعالى له بالشفاعة، **والشرك البيّن** هو دعاء الأموات والاستغاثة منهم، وسؤالهم الشفاعة، وما عدا ذلك لا يجوز للمسلم أن يحكم على مسلم بالكفر بأمرٍ ظني، مع أن الأصل في النصوص يدل على طلب الشفاعة الأخروية من المخلوق الحي الحاضر كما هو حال الصحابة في طلبهم شفاعة النبيﷺ، فليس في هذا الطلب شرك، ولم يطلب من المخلوق ما لا يقدر عليه إلا الله، وإنما طلب منه ما **يؤمّل** قدرته عليه في اليوم الآخر، وهذا جائز كطلبها ممن تحقق **الوعد** له بذلك وهو نبينا محمدﷺ.

تنبيه:

لما ذكرتُ أن الله تعالى لا يُستشفع به عند أحد من خلقه، لما ثبت في الحديث الصحيح عند أبي داود في "سننه"(٤/ ٢٣٢) عن جبير بن محمد بن جبير بن مطعم، عن أبيه، عن جده، قال: أتى رسول اللهﷺ أعرابي، فقال: يا رسول الله، جهدت الأنفس،

وضاعت العيال، ونهكت الأموال، وهلكت الأنعام، فاستسق الله لنا فإنا نستشفع بك على الله ونستشفع بالله عليك، قال رسول اللهﷺ: «**ويحك أتدري ما تقول؟**» وسبح رسول اللهﷺ، فما زال يسبح حتى عرف ذلك في وجوه أصحابه، ثم قال: «**ويحك إنه لا يستشفع بالله على أحد من خلقه، شأن الله أعظم من ذلك، ويحك أتدري ما الله، إن عرشه على سماواته لهكذا**» وقال بأصابعه مثل القبة عليه «**وإنه ليئط به أطيط الرحل بالراكب**» قال ابن بشار في حديثه: «**إن الله فوق عرشه، وعرشه فوق سماواته**».

ومعنى قول الله تعالى: ﴿**قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا**﴾ [الزمر: ٤٤] أي الإذن بالشروع والقيام بها من عدمه، والرضى بها من عدمه، وكل شفاعة في الدارين هي من الله وبإذنه، وليس المراد أن الله هو الشَّافع، فالشافع مفتقرٌ لما عند المشفوع عنده، والله بيده ملك كل شيء، ولذلك أنكر النبيﷺ قول: «**ونستشفع بالله عليك**» ولم يُنكر: «**ونستشفع بك على الله**»، وهذا فيه طلب الشفاعة من المخلوق القادر الحاضر في أمرٍ دنيوي كما تقدم.

فإن قيل: فما قولكم فيما ثبت في "صحيح البخاري" (٩/ ١٣٠) في حديث الشفاعة الطويل، وفيه: «**فيشفع النبيون والملائكة**

والمؤمنون، فيقول الجبار: بقيت شفاعتي، فيقبض قبضة من النار، فيخرج أقواما قد امتحشوا، فيلقون في نهر بأفواه الجنة» وجاء في حديثٍ عند الطبراني في الأوسط المعجم الأوسط (٧/ ٥٧) «**يشفع الله تبارك وتعالى يوم القيامة آدم من جميع ذريته في مائة ألف ألف وعشرة ألف ألف**» وفي آخر عند البيهقي في "البعث والنشور" (ص: ٣٤٤): «**ثم يشفع الله عز وجل يقول: أخرجوا من وجدتم في قلبه**» الحديث، فأثبت الشفاعة لله تعالى؟

فالجواب: أن هذه شفاعة الله بنفسه عند نفسه عز وجل لكمال رحمته، فالله يقسم بنفسه لنفسه، ويستعاذ به منه، وهذا لا نقص فيه، وإنما الذي لا يجوز الاستشفاع بالله عند أحدٍ من خلقه، والخلق كله ملك الله وتحت قهره.

وخلاصة الأمر:

أن الأولى بالمسلم دعاء الله تعالى، وسؤاله من فضله، فهو الأكمل والأتم في توحيد العبد، حتى لو أراد شفاعة شافعٍ يوم القيامة يسأل الله تعالى ذلك، ويقول: اللَّهُمَّ شفع فِيّ نبيك، ومن شئت من خلقك، اللَّهُمَّ ارزقني شفاعة نبيك يوم القيامة، وأمثال ذلك.

ولا يجوز الخوض في التكفير بلا حجةٍ وبينة وبرهان، وأثارة من علم السلف الصالح، ولا يجوز إخراج مسلمٍ من الإسلام إلا بيقينٍ عندنا فيه من الله برهان، كما لا يليق بطلاب العلم أن يتجاوزا ولاة الأمر من أهل العلم والفقه في دين الله تعالى في أمثال هذه المسائل، وخيرٌ لهم قبل التناحر والتدابر، والمسارعة إلى التكفير والتبديع والتضليل أن يردوا الأمر إلى العلماء، كما قال تعالى: ﴿**وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا**﴾ [النساء: ٨٣] فيكاتبونهم، ويستفتونهم، وينتظرون قولهم في أمثال هذه المسائل العظيمة.

ثم في الختام:

أنصح إخواني بأن يُيسروا ولا يُعسروا، ويُبشروا ولا يُنَفروا، وأن يتطاوعوا ولا يختلفوا، وأن يجتهدوا في جمع الكلمة، ووحدة الصف، والاشتغال بالدعوة وتعليم الناس الخير، والبعد عن موجبات الفرقة والاختلاف، والاقبال على العلم الشرعي على سنن أهل السنة والأثر، فما يقع الخلاف إلا بالجهل بسنة النبيﷺ والهوى، كما أن الواقع اليوم وما تُقابل به الدعوة السلفية من

حملات أهل الضلال يحتّم عليكم مزيد التعاون والتماسك، والاجتهاد في تقوية أواصر المحبة، والبعد عن أسباب الخلاف، ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٩].

وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.